النَّحو العربيّ، والأسلوبيَّة الحديثة

د. سليمان بن عبدالله بن سالم الحامدي

دكتور في الدِّراسات اللُّغويَّة تخصص في النَّحو العربيّ

وزارة التربية والتعليم

سلطنة عمان

sulieman1976moe.om

المحور: اللغة العربيَّة والنَّحو، والصرف، واللسانيَّات الحديثة

النَّحوُ العربيّ، والأسلوبيَّة الحديثة

د. سليمان بن عبدالله بن سالم الحامدي

مقدّمة:

إنّ النَّحوَ العربيّ يرتبط بالأسلوبيَّة ارتباطاً قوياً، فالنَّحو العربيّ ليس مجرّد قواعد تعليمية مجرّدة – كما يصوّره بعض الباحثين المحدثين– بل يساعد في فهم كيفيّة تنظيم الكلمات وترتيبها لتشكيل الجمل الصحيحة، والمفهومة، وقد قدّم عبد القاهر الجرجاني إشارات واضحة عن ذلك، فهو يربط بين الصورة التي يريدها الأديبُ لفكرته، والصياغة النَّحوية اللازمة لنقلها إلى المتلقّي بصورةٍ حسنةٍ، وهذا ما قرره في نظرية النَّظم لديه، فعلمُ النَّحو يقررُ بدائل غير قليلةٍ من التراكيب الصحيحة أمام الأديب. من ذلك يتضح لدينا معرفة اللغويين القدامى بالأسلوبيّة، ومعرفتهم من جانب آخر بالعلاقة بين النَّحو، والأسلوبيَّة، وكان مصطلحُ الأسلوبِ عند اللغويين القدامى مرادفًا لمصطلح الأسلوبيَّة الحديثة، وإن لم يتطرقوا إلى ذلك في بابٍ خاصٍ به. **أهداف البحث:** بيان العلاقة بين النَّحو العربيّ، والأسلوبيَّة بشكلٍ عامٍ، وتوضيح الجذور العربيَّة عند اللغويين العرب القدامى للأسلوبيَّة الحديثة، وأهمية الربط بين النَّحو، والأسلوبيَّة في الكلامِ العربيّ. **الأسئلة التي يجيبُ عنها البحثُ:** ما العلاقة بين النَّحو العربيّ والأسلوبيَّة؟ هل الأسلوبيَّة الحديثة لها جذور عربيَّة قديمة؟ ما أهميَّة ربط النَّحو بالأسلوبيَّة في الكلامِ العربيّ؟ **منهجُ البحثِ:** اتّبع الباحثُ المنهجَ الوصفي التحليلي؛ لحاجة البحث إلى ذلك في تفسير الظواهر النَّحويَّة، والأسلوبيَّة، والتَّوصل إلى العلاقةِ بينهما، وبيان أهميَّة النَّحو بالنسبة للأسلوبيَّة في الكلامِ العربيّ الفصيحِ.

أدواتُ البحث: تمَّ الاعتماد على الملاحظةِ، والاطِّلاع على بعض آراء العلماء العرب، والمسلمين من اللّغويين القدامى. **الخلاصةُ، والتوصياتُ:** نوصي الباحثين بأن تكون هناك دراساتٌ بحثيَّةٌ عميقةٌ كرسالةِ دكتوراه، أو ماجستير؛ لبحث هذه المشكلة بصورةٍ أكثر تفصيلاً، وأن يُعاد النظر في الدراسات التي تحاملت على النَّحو العربيّ بأنَّه تجريدي تقعيدي لاحيوية فيه، من خلال كتب القدامى، كعبد القاهر الجرجاني، والمقدّمة لابن خلدون، والجاحظ وغيرهم، ونعيد للنَّحوِ العربيّ بشكلٍ خاصٍ، وللغتنا العربيةِ بشكلٍ عامٍ المكانة السامقة.

الكلمات المفتاحيّة: النَّحو، الأسلوبيَّة، القدامى.

العلاقة بين النَّحو العربيّ، والأسلوبيَّة

إن الهدفَ في البداية من وضع النحو –كما تعلمون– هو الخوف من الوقوع في اللحن، ومحاربة اللحن إذا وقع. خاصة بعد انتشار الإسلام واختلاط العرب بالأعاجم، ثم احتاج العرب، والمسلمون إلى فهم النَّص القرآني الكريم، فكان تركيز النَّحو على ذلك فظهرت القراءاتُ القرآنيّةُ السبع، والعشر، ومن بين القراء السبعة: أبو عمر ابن العلاء وهو قارئ البصرة، والكسائي وهو قارئ الكوفة وهما من كبار النحاة، وظهرت تفاسيرٌ تهتمُّ بالأسلوبيَّة والنَّحو كتفسير أبي حيَّان التوحيدي وغيره. ثم توسَّعت دائرة الاهتمام والبحث إلى الشعرِ العربيّ الإسلاميّ ونشره، فظهرت المؤلفات البلاغيَّة، والنقديَّة المرتبطة بالنَّحو، والأسلوب.

فمن ذلك يتبيّن لنا أهمية النَّحو العربيّ الإسلاميّ وارتباطه بالعلوم الإنسانيَّة المختلفة، والتصاقه بالشاعرِ، والأديبِ، والمفسرِ، والراوي، والمتلقي فارتبط بالأسلوبية منذُ نشأة تلك العلوم.

ومن الأفكار التي ظهرت فيما بعد: أنَّ النَّحوَ العربيّ الإسلاميّ أصيلٌ وما ظهر جديدٌ يشكّلُ خطراً على ديننا ولغتنا فلا نقبله. وهذا هو الجمود المذموم –حسب من رآه – واتجاه آخر يقول:

إن ما ظهر في العالم من تطور لغويّ في اللسانيات الحديثة هو الجديد وأنه هو الصالح لنا، وأنَّ نحونا القديم غير صالح لنا على الإطلاق، فيؤدي هذا إلى نوع من المسخ.

فاتجاه الجمود واتجاه المسخ اتجاهان لا ينبغي أن نقبلهما، بل علينا أن نقفَ موقفاً وسطاً نتمسك بموروثنا النَّحوي القديم، ونأخذَ من الجديد ما يتفق وينسجم ويطوّر موروثنا، ويجعله في حيويَّة مستمرة، فنضع كل شيءٍ في إطاره الحقيقي، فلغتنا العربيَّةُ حيويَّةٌ بألفاظها ومعانيها؛ لأنَّها وعاءُ أشرف الكتب السماويَّة وهو القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(يوسف: 2)، وقال أيضًا:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9).

وما يُقال عن النَّحو العربيّ في أنَّه العلمُ الذي نضج حتَّى احترق من كثرة ما كُتب فيه قديماً، فأرى –من وجهة نظري المتواضعة– أنَّ النَّحو لم يحترقْ، ولن يحترقَ ما دام مرتبطاً بالقرآن الكريم.

وفي هذا الشأن أيضًا يقرّ الدكتور فوزي حسن الشايب في كتابه: تأمّلات في بعض ظواهر الحذف الصرفيّ "بأنّ نظرة النُّحاةِ العرب القدامى للمسائل اللغويَّة قد أثقلت كاهل الدراسةِ اللغويَّةِ بكثيرٍ من الأحكامِ، والتأويلات التي تُجافي طبيعة اللُّغة، ممّا جعل النَّحو، والصرف من أكثر الميادين التي باضت وفرّخت فيها كثيرٌ من التخيُّلات، والمفاهيم الخاطئة، والآراء المعدّة سلفًا".

إنَّ الحكمَ على النَّحو العربيّ هكذا بجرة قلم واحدة باعتباره قائمًا على التخمينات، والمفاهيم الخاطئة، والأحكام المسبقة، لهو أمرٌ ينمُّ –في تقديري– عن عجلةٍ واضحةٍ في إطلاق الأحكام، وينمُّ عن قراءةٍ غير متأنّيةٍ للنظريَّة، أو النَّظريَّات النَّحويَّة القديمة، وعن نظرةٍ قاصرةٍ في فهم التراث النَّحويّ واللُّغويّ عمومًا، ولعل هذا التنكّر، والهجوم على النَّحو العربيّ يعود إلى التَّأثر، والانبهار ببعض الآراء السلبية لعلماء اللُّغة الغرب المحدثين في النَّحو العربيّ خاصةً، واللُّغة العربيَّة عامة.

فعندما ظهر علمُ اللُّغة الحديث في العصر الحاضر في الغرب انتقل إلى البلاد العربيَّة يهدفُ إلى نقد النَّحو العربيّ، وهدمه وأطلقوا عليه النَّحو التقليدي، ونحو أرسطي، والدليل أن بعضَ المناطقة الذين ذهبوا إلى نقد النَّحو العربيّ الإسلاميّ لم يكنْ لهم اتّصالٌ حقيقيٌ بالنَّحو العربيّ؛ وبالتالي حكمهم فاقد مبرراته وغير موضوعي. ولعل هذا من الشائعات العلميَّة التي أطلقوها ضد النَّحو العربيّ خاصةً والعرب والمسلمين عامةً، لأهداف علمية، وأهداف غير علمية.

وأرى أنَّ ما أورده علماء اللغة القدامى من العرب والمسلمين كعبد القاهر الجرجاني، والرازي، وأبي حيَّان التوحيدي، وابن قتيبة، وابن الأثير وغيرهم – خاصةً في تناولهم لقضية إعجاز القرآن الكريم– يبطلُ دعواهم كما سنوضّح ذلك في حديثنا عن: الجذور العربيَّة عند اللغويين العرب القدامى للأسلوبيَّة الحديثة في بحثنا هذا.

وقد ظل هذا النَّقد موجوداً إلى أن جاء النَّحو التَّحويلي، والتَّوليدي، فأعاد إلى النَّحو العربيّ القديم شيئاً من مكانته، كالعودة إلى النَّحو الشَّامل، والسَّجية اللُّغويَّة، وتوليد الصيغ بعضها من بعض. ولعل ذلك من باب توارد الخواطر، أو تأثرهم بالنّحو العربي القديم أن نجد هذا التوافق العجيب بين النَّحو العربيّ، والنحو التوليديّ.

وخلاصة الكلام في هذا العنصر أنّ هناك علاقةً وثيقةً تكوّنت بين النَّحو العربيّ، والأسلوبيَّةِ منذ القدم، وامتدّت إلى يومنا هذا.

الجذور العربيَّة عند اللُّغويين العرب القُدامى للأسلوبيَّة الحديثةِ

إنّ علمَ الأسلوبِ ليس وليد العصر الحديث، بل له أصول عريق في لغتنا العربيَّة؛ فأصوله ترجع إلى علوم البلاغة. فالأسلوبيَّة العربيَّة تظهر لنا في كثيرٍ من المباحث اللُّغويَّة الحديثة؛ لأنّها تؤكد عملية التواصل بين القديم الذي أنتجه العرب والمسلمون، والحديث الذي أنتجه الغرب كدراسات

حسين المرصفيّ، ومصطفى صادق الرافعي، وأحمد حسن الزّيات، وأحمد الشّايب، وأمين الخولي، وغيرهم.

ويكاد عبد القاهر الجرجاني يتوافق مع الأسلوبيين المحدثين في كثيرٍ من مباحثه؛ حيث قام بإخضاع المجاز لسيطرة النَّحو وعلاقاته التركيبية إن لم نقلْ إنّه جاوزهم بمقولته عن تجدد المواضعة تبعاً لتجدد الاستعمال، فالألفاظ لديه رموزٌ للمعاني.

إنّ عبد القاهر قد أفاد من إمكانات النَّحو التركيبية ووظَّفها بشكلٍ مباشرٍ في إنتاج نظريَّةٍ لغويَّةٍ في فهم الأسلوب من حيث كان النَّحو خالقًا للنَّسق التعبيريّ الذي يحققُ المزيَّة، والفضيلة، والإبداع بجانب الصَّحةِ، والسلامةِ، وكان ذلك مدخله لمناقشة قضية الإعجاز القرآني، وأطلق على نظريته كلمة دقيقة هي: النظم

إنَّ العناصرَ اللغويَّةَ اللسانيةَ تتواشجُ فيما بينها لرسم معالم الخصوصيَّة الأسلوبيَّة للتجربةِ الفنيَّةِ، ولا شك إنّ ترجمة تلك المعاني النفسيَّة لصاحب النَّص في أنماط تعبيريَّة لا يتمُّ بشكلٍ بليغٍ إلا بمعرفةٍ عميقةٍ، ودرايةٍ كافيةٍ بمعاني النَّحو، وفروقه.

إنّ النَّحو بإمكاناته الواسعة يقدّمُ للمتكلم مجموعةً من الخيارات التي تمكنه من الإعراب عن غرضه، وتجسيد صور فكره في قوالب شتّى.

لقد أدركَ عبدُ القاهر الجرجانيّ تلك الإمكانات النَّحويَّةَ، والخيارات الأسلوبيَّةَ الأمر الذي هداه إلى فكرة النَّظم التي يتَّسقُ فيها المبنى مع المعنى اتِّساقاً تاماً حسب مقتضيات علم النَّحو العربيَ عند إنشاء الكلام، وعند تحليله أيضًا تكون مقتضيات النَّحو وسيلةً لإدراك المعنى من خلال طريقة نظم الكلام.

يقولُ الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز: " ليس الغرض بنظم الكَلِم أن توالت ألفاظها في النُّطق، بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل".

فنجده يقرُّ من خلال مقولته بالمعاني وتناسقها، وارتباطها بقصد المتكلم.

إنَّ دراسة عبد القاهر الجرجاني (ت:471 هـ) للنَّظم هو أن ينظر إلى اللُّغة من خلال مستويين: (نفسي، وعقلي) فالمستوى الأوَّل هو المحرك للعمليَّة الكلامية وهو المحدد لأنماطها، وأشكالها وحروفها، ولا يتشكل المستوى الثاني إلا بإدراك المستوى الأول حيث يقول: " وأمر النَّظم في أنه ليس شيئاً غير توخّي معاني النَّحو فيما بين الكلم، وأنَّك ترتبُ المعاني أولاً في نفسك تحذو على

ترتيبها الألفاظ في نطقك، وأن لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يتصوَّر أن يجب بينها نظم، وترتيب في غاية القوة والظهور فالنظم توخي معاني النَّحو".

ويتَّضح لدينا من ذلك أن معالجة الجرجانيّ لنصوص اللغة وفق المستويين النَّفسي، والعقلي يوافق معالجة الدراسة اللسانية الحديثة (لديوسير) (ثنائية اللغة والكلام) (وتشومسكي) (الكفاءة اللغوية الأداء الكلامي).

يرى إبراهيم مصطفى صاحب أحياء النَّحو أنَّ الجرجانيّ: "رسم في كتابه دلائل الإعجاز طريقاً جديداً للبحث النَّحوي يتجاوز أواخر الكلم، وعلاقات الإعراب وبيّن أن للكلام نظماً، وأنَّ رعاية هذا النَّظم، واتِّباع قوانينه هي السبيل إلى الإنابة، والإفهام وأنَّه إذا عدل بالكلام عن سنن هذا النَّظم لم يكن مفهمًا معناه، ولا دالاً على ما يراد منه".

نجد توافق كبير بين عبد القاهر الجرجانيّ، وأعلام الدراسة اللسانيَّة الحديثة في البناء الداخلي والخارجي رغم الفارق الذهني، ولعل هذا دليل على تأثر الأسلوبين واللسانيين الغرب بالعرب القدامى كما تأثر الغرب ببعضهم.

والجدول الآتي يوضح هذا التقارب في نظام اللغة (الكلام البشري):

بناء داخلي	بناء خارجي محسوس
الجرجاني: البناء العقلي الباطن	البناء اللفظي المحسوس
همبولد: الشكل الداخلي العضوي	الشكل الخارجي (الآلي)
دوسوسير: اللغة	الكلام
تشومسكي: الكفاءة اللغوية	الأداء الكلامي

ومن أبرز الظواهر الأسلوبيَّة التي شغلت بال اللُّغويين حديثاً ظاهرة العدول، وهي ظاهرة قد تعرَّض لها عبد القاهر بالدراسة والتحليل كالحذف، والذكر، والتقديم والتأخير، والإضمار، والإظهار.

فأصبحت أفكار الجرجاني محل أنظار اللغويين حديثًا؛ حيث يرى شوبنهاور أنّ الأسلوب يعكس ملامح الفكر.

ويقول ماكس جوب:" إنّ جوهرَ الإنسان كامنٌ في لغته وحساسيته"

ويقول ببيفون :" الأسلوبُ هو الرجل".

من ذلك يتَّضح لدينا أنَّ الجرجانيّ قد حاز على قصب السبق فيما ذهب إليه علماء الأسلوبيَّة الغرب، فأثرت أفكاره الأسلوبيَّة فيهم، وفي الأسلوبيين العرب في العصر الحديث، فكانت لمباحثه الأسلوبيَّة الأصالة، والابتكار، وإن كان الأمر يحتاج إلى بعض المراجعات لتصبح دراسة السَّياق شاملةً للنّص الأدبيّ، وربط السَّياقات بعضها ببعض.

واستطاع عبدالسلام المسدّي في العصر الحديث أن يقيمَ جسراً بين الفكر الأسلوبيّ، والفكر العربيّ في تناوله ل (الأسلوبيَّة والأسلوب)، كما حاول ابن قتيبة(ت:276هـ) أن يعطي لكلمة الأسلوب مفهوماً محدداً في كتابه:(تأويل مشكل القرآن) رابطًا بين تعدد الأساليب ، وطرائق العرب في أداء المعنى، ومن بين علماء العرب الذين تأثروا بأسلوبيَّة الجرجانيّ: ابن الأثير (ت:637هـ) والذي تأثر كذلك بالربط عند ابن قتيبة فحاول ربط سياق الحذف بسياق الإيجاز، وربط سياق الذكر بسياق الإطناب الذي غفل عنه الجرجاني.

وإذا كان ابن قتيبة، ثمّ ابن الأثير قد ربطا بين الأسلوب وطريقة أداء المعنى، وذهبا بأنّ لكلِ مقامٍ مقالاً، فإنّ الخطّابي(ت:388هـ) يربط بين الأسلوب والغرض، أو الموضوع الذي يتضمنه النّص الأدبيّ، فكلَّما تعددت الموضوعات في النّص تعددت الأساليب، وتشكّلت حسب طبيعة الموضوع، فنحكم بأنَّ فلانًا أشعر في الوصف، وفلانًا في الهجاء وهكذا حسب طريقته التي يذهبها في شعره. ففهم الخطّابيّ للأسلوب يختلف عن فهم ابن قتيبة حيث كان لكلِ منهما مساره الفكريّ في تقدير الإعجاز القرآنيّ. ومع هذا التمايز اتَّفقا في أن كلاً منهما ربط بين الأسلوب، والطريقة الفنية في الأداء.

وقد اطّلع الباقلّاني(ت:403هـ) على ما قاله ابن قتيبة، والخطّابي واتّخذه مدخلاً للحديث عن الإعجاز القرآنيّ، وأنّ القرآنَ عجيبُ النَّظم، وله أسلوب يختصُّ به، ومن خلال حديثه عن أسلوب القرآن ربط الباقلّاني بين الأسلوب، والنَّوع الأدبي، فالشّعر له أسلوبه، والخطابة لها أسلوبها...وهكذا

ثمّ نجد الفخر الرازي(ت:606هـ) سار على هذا النهج فربط بين الأسلوب، والنّوع الأدبيّ، وأضاف إلى ذلك إضافة جديدة فربط بين الأسلوب، والمبدع.

لقد ربط الزمخشري(ت:538هـ) بين الأسلوب والخصائص الأسلوبيّة، فأكَّد على الحسن في الأسلوب من خلال خاصية الالتفات؛ لأنّ الكلام إذا نُقِل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن في التَّأثير على السامع. فمثال الالتفات من الغيبة إلى المتكلم قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ

ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ (فاطر: 9) ، كما عالج الزمخشري أسلوب التمثيل كخاصية أسلوبيَّة لفهم المعنى وإبرازه، فتريك المتخيّل في صورة المحقّق، والغائب كأنّه شاهد.

فكان الزمخشري في تحليله للنَّصِ القرآنيّ يجمع بين الأسلوب، والتركيب النَّحوي؛ للوصول إلى التأثير الانفعالي لدى المتلقي، والخصائص التعبيرية في النَّص الأدبيّ عامةً، والقرآني خاصةً.

إنّ السكَّاكي(ت:626هـ) سار على نهج الزمخشري فربط بين الأسلوب والخاصية التعبيرية، فاهتمَّ بخاصة الالتفات وأدخلها في علم المعاني، كما ربط السكَّاكي بين الأسلوب وخاصية أسلوب الحكيم، وهو خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

أمّا ابن خلدون فربط بين الأسلوب، والقدرة اللغويَّة، أي القدرة التي يمتلكها الفرد وتمكنه من التعبير عمَّا يريد بجملٍ جديدة، ويدخل في ذلك القواعد النَّحوية والصرفية، والبنية العميقة للجملة التي تحمل المعاني، ويسمي (تشومسكي) هذه المَلَكة ب"المعرفة اللغويّة".كما ربط ابن خلدون بين الأسلوب والنوع الأدبي.

من ذلك يتبيّن لنا جليًّا أن الأسلوبيّة الحديثة لها جذور علمية إبداعية بارزة عند اللغويين العرب القدامى، لوجُمِّعت تلك الأفكار الذهبيَّة لكوَّنت نظريَّة عربيَّة إسلاميَّة لسانيَّة أسلوبيَّة.

أهميَّة الرَّبط بين النَّحو العربيّ، والأسلوبيَّة

إنَّ مهمةَ النَّحو أن يجلي عبقريَّة النِّظام اللُّغويّ في النَّص وقدرته على التعبير الدقيق من خلال وسائل التماسك النَّصي لفظًا ومعنى، تلك الوسائل التي تساعد النَّص على تلاحم أجزائه وترابطها؛ ليعطي معناه للمتلقي كما أراده المبدع، أو المتكلم؛ لأنَّ المعنى يعطى للنَّص شخصيته، والنَّص يعطى للغة شخصيتها.

وعبقريُّ اللُّغة العربيَّة ابن جنّي يعرّف لنا الإعراب بأنه: "الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه وشكر سعيداً أبوه، علمت بنصب أحدهما ورفع الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما عن صاحبه، فإن قلت فقد تقول: ضرب يحيى بشرى، لا تجد هناك إعراباً فاصلاً"

إن تعريف ابن جنّي هذا يخبرنا بأن مهمةَ الإعراب تتحددُ بالإيضاح والإبانة عن المعنى، وهو عنده ذلك المعنى الذي يتكشَّفُ لنا من غايةِ التبويب النَّحويّ، فنجد الفاعل والرفع يدل عليه، ونجد

المفعول والنصب يدل عليه وهكذا. ونجد سيبويه في هذا المقام خاصة فيما يتعلق بما هو إعراب ومعنى، كونه من الذين تفطَّنوا إلى العلاقة الجدليَّة والجوهريَّة بين المعنى والإعراب، فكان يحرص على استحضار المعنى لكون الإعراب فرع المعنى فهو تمييز للمعاني. وفي هذا نخلص إلى أن عناية العرب إنّما كانت بالمعنى والإعراب معاً.

يقولُ الجرجانيّ في دلائل الإعجاز: "واعلم أن ليس النَّظم إلا أن تضعَ كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النَّحو، وتعملَ على قوانينه وأُصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيءٍ فيها" واستشهد بقول امرئ القيس: "قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ " فالمعنى لن يتولَّد عن الألفاظ لولا انتظامها وفق معاني النَّحو، والدليل على ذلك لو فككنا رباط النَّحو لتلاشى المعنى: من نبك قفا حبيب ذكرى منزل.

والتكرارُ ظاهرةٌ أسلوبيَّةٌ في الأدبِ العربيّ، فمن عناصر الأسلوبيَّة: تكرار الكلمات، الذي يعتبر من العناصر المهمة في تشكيل الموسيقى الداخلية، بالإضافة أنّه يحمل دلالات ومعاني حسيَّة، حيث كرر ابن مرج الكحل الأندلسيّ عدداً كبيراً من الألفاظ في ديوانه في موضوعات مختلفة، وارتبط التكرار بالجانب النَّحويّ:

عجبتُ لمن يرجو متاباً لجاهلٍ *** وما عنده أن الذنوبَ ذنوبُ

إذا كان ذنبُ المرء للمرء شيمةً *** ولم يره ذنباً فكيف يتوبُ

تكررت كلمة (الذنب) أربع مرات وبأشكالٍ مختلفةٍ جاءت بصيغة الجمع، والمفرد، والمعرفة، والنكرة فتتقلب مفردات الذنب في البيت تبعاً للموقع النَّحوي. فيكشف هذا التكرار للمفردة حالة البغض والنفرة بالنسبة إلى ظاهرة الذنب في نفس الشاعر، ويكشف من الناحية الفنيَّة نوعاً من التكثيف الصوتي، والموسيقي الناتج من هذه المفردة المكررة.

ويذهب المبرّد، وعبد القاهر الجرجانيّ في طروحاته في كتابيه " أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز":

إلى أن تعدد أشكال الخطاب تتعدد بتعدد المخاطبين وتعدد المعاني القائمة في نفوس المتكلمين. وأورد الجرجانيّ المثال الآتي للتدليل على ما سبق: قال الكنديُّ للمبرّد: إنّي لأجد في كلام العرب حشواً!

قال المبرّد في أيّ موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجدُ العرب يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إنّ عبدالله قائم، ثم يقولون: إنّ عبدالله لقائم، فالألفاظ متكررة، والمعنى واحد، قال المبرّد: بل المعاني

مختلفة للاختلاف الألفاظ ، فقولهم: عبدالله قائم إخبار عن قيامه، وقولهم: إنَّ عبدالله قائم جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إنَّ عبدالله لقائم جواب عن إنكار فكر قيامه. فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني"

فهذا التعليل الذي قدَّمه المبرّد فيه استدعاء لحضور المخاطب ومراعاة حاله ساعة إنتاج الخطاب، وهذا أمر يحتاج إلى تدبّرٍ، ودقةِ نظرٍ كما يذهب إلى ذلك الجرجانيّ.

فنجد أن الجرجانيّ بنى أسلوبه اللُّغويّ من خلال كتابيه: الدلائل، والأسرار على

فكرة أساسية وهي النَّظم على مستوى الكلمات وفق معاني النَّحو.

إنَّ البنيةَ السطحيةَ(الألفاظ)، والبنيةَ العميقةَ(المعنى) التي جاء بها الجرجانيّ في القرن الخامس الهجري أخذ بها العالمُ اللُّغوي (ديسوسير)، ثم العالمُ الأمريكي (تشومسكي) في اللسانيات الحديثة، بل إنَّ هناك بعض الأبحاث الحديثة أكدت إلى أنَّ عبد القاهر الجرجانيّ أشار إلى مفهومي البنية العميقة، والبنية السطحية قبل (نعوم تشومسكي).

ومن خلال البنية العميقة يمكن تشكيل عدد غير محدود من الجمل وهذا هو يسمى بالنحو التوليدي.

مثل: ضرب زيد عمراً– زيدٌ ضرب عمراً– عمر ضرب زيداً.

وهناك مقولةٌ رددها كثيرٌ من علماء اللُّغةِ العربيَّةِ القدامى، والمحدثين تنصُّ على أنَّ: "الإعراب فرع المعنى" إذ أن الأصل هو المعنى وبه، أو له يتمُّ توجيه الفرع وهو الإعراب.

ولا أهميّة للمعنى خارج التركيب، ومن هنا جاءت شرعيَّة التَّسمية القائمة على الدمج بين النحو والمعجم. فكان النَّحو سابقاً في الزمن للأسلوبيَّة إذ هو شرط واجب لها.

فكل أسلوبيَّة هي رهينة القواعد النَّحويَّة الخاصة باللُّغة المقصودة، ولكنَّها رهانة ذات اتجاه واحد؛ لأنَّنا إذا سلّمنا بأنَّ لا أسلوب بدون نحو، فلا نستطيع إثبات العكس فنقول: لا نحو بلا أسلوب.

خلاصة الكلام: إنَّ علمَ الأسلوبِ من حيث هو معرفة إنسانية قديمٌ في تصوراته المبدئية، حديثٌ في بلورة غاياته وتشكيل مناهجه، فهناك ترابط، وتلازم كبير بين النَّحو، والأسلوبية، فلا تؤدي الأسلوبيَّة دورها اللغويّ بمعزل عن النَّحو.

النتائج والتوصيات

1-إعادة القراءة العلميَّة المنصفة لتراثنا العربيّ الإسلاميّ اللُّغوي، ولا سيما كتاب البيان، والتبيين للجاحظ، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة للجرجاني وغيرهم.

2-حاز علماء اللغة العرب، والمسلمون القدامى وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني، والجاحظ وكثيرٌ من علماء الأمّةِ العربيَّةِ، والإسلاميَّة على السَّبق في مصطلح الأسلوبية، واللسانية، واستخدامهما، وإن لم تكنْ هناك نظريَّةٌ واضحةٌ، حيث كانت الآراءُ، والأسسُ متناثرةً في كتبهم لو جُمِعَت لكَّونت نظريَّةً متكاملةً.

3-إعادة النَّظر في النَّحو العربيّ لا باعتباره نحوًا معياريًّا تقعيديًّا مثلما هو قائم في أذهان الكثيرين من علماء اللُّغة المحدثين من العرب، ومن الغرب، وإنّما باعتباره نظريَّة لسانيَّة.

4-هذا البحث يفتح بابًا للباحثين-خاصةً باحث الدكتوراه، والماجستير- لاستقصاء، وتجميع، ودراسة الأفكار الأسلوبيَّة التي ذكرها علماء العرب، والمسلمون القدامى في بطون مؤلفاتهم الفذَّة، ونشرها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: الكتب العربيَّة

1- ابن الأثير، المثل السائر. تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة ، القاهرة: نهضة مصر ،ج3

2-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن. نشره وحققه أحمد صقر،القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، 1954م.

3-أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني. تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، بيروت: دار الفكر العربي، ط1، 1999م، ص6

4-الأسلوب والنحو، د. محمد عبدالله جبر، دار الدعوة الإسكندرية، ط1، 1988م.

5-الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان. القاهرة: مكتبة الآداب، 2004م، ص 43

6-الأسلوبيَّة والأسلوب، د. عبد السَّلام المسدّي. الدار العربية للكتاب، ط2، 1982م.

7-الأصول، تمام حسان. الدار البيضاء: دار الثقافة، 1401- 1981. ص 340.

8-أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما. الكويت: عالم المعرفة، سبتمبر 1978 ،ص 115 -116.

9-إعجاز القرآن، الباقلاني. تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة: دار المعارف، 1963م، ص 35.

10-البلاغة والأسلوب، د. محمد عبد المطلب. مكتبة لبنان- بيروت ط1، 1994م.

11-بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرّماني، والخطَّابي، وعبد القاهر الجرجانيّ. تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1968م، ص65،66.

12-الخصائص، ابن جنّيّ أبو الفتح. تحقيق علي النجّار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، ط.2، د.ت.

13- دراسات نحوية في خصائص ابن جني، أحمد سليمان ياقوت. دار المعرفة الجامعية، 1410-1990. ص 36.

14- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1976هـ.

15-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني. تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا بيروت : دار المعرفة، لبنان،1981م،ص41

16-العدول عن الأصل في تركيب اللسان العربي وتطبيقاته في القرآن الكريم، عبد القادر حمراني. رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر،ص78

17- الكتاب، سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب. ط3. 1983م.

18-الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، ، القاهرة: المكتبة التجارية، 1354هـ، 10/1.

19-مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عيَّاد. مكتبة الجزيرة، ط2، 1992م.

20-المسافة بين التَّنظر النَّحوي، والتطبيق اللُّغويّ: بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي. أ.د. خليل أحمد عمايرة، عمَّان الأردن: دار وائل، ، ط1، 2004م.

21- مفتاح العلوم، السكّاكي. بيروت: دار الكتب العلمية،د.ت،د.ط، ص76.

22-المقدمة، ابن خلدون. بيروت: دار العودة، د.ط، د.ت.

23-من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح. جامعة الكويت، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربيَّة، إعداد طه نجم، وعبده بدوي 1990. ص 408.

24-النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، د. جنان التميمي. دار الفارابي، بيروت لبنان ط1، 2013م.

ثانيًا: الكتب المترجمة

1-اللغة ومشكلات المعرفة، نعوم تشومسكي. ترجمة: د.حمزة بن قبلان المزيني، المغرب: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1990. ص 54.

ثالثًا: المجلات والمقالات

1-الأسلوبيّة وصقورها في كتابات عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (أسرار البلاغة)، و(دلائل الإعجاز). د. فاطمة مهدي البزال، لبنان، مجلة الكليّة الإسلاميّة الجامعة العدد:74، ج2- تشرين الأول 2023م.

2-البحث اللساني والسيميائي: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، عبده الراجحي. رقم 6، المغرب، جامعة محمد الخامس، مايو 1981 م.

3-البعد التداولي عند عبد القاهر الجرجاني، د. مسعود مرسلي. مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في أفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر العدد: 9- مارس 2016م.

4-بين الأسلوبيّة والنحو دراسة في التعالق والمجاورة، أ.د. طاطة بن قرماز. مجلة اللُّغة الوظيفية الشلف، جامعة حسيبة بن بو علي، الجزائر، المجلد7، العدد1 2020/6/30م.

5-تأمّلات في بعض ظواهر الحذف الصرفيّ، د. فوزي حسن الشايب. حوليّات كليّة الآداب. الحوليّة العاشرة. الرسالة 62. جامعة الكويت. 1988 – 1989م

6-ظواهر أسلوبية في شعر ابن مرج الكحل الأندلسي: دراسة في المستوى الصوتي، مقالة محكّمة، حسن سرباز، و سازكار إسماعيل عبدالله. مجلة دراسات في اللغة العربية، وآدابها، نصف سنوية دولية محكمة السنة14، العدد 38-1402هـ

7-الفكر الأسلوبي لدى عبد القاهر الجرجاني، مجلة جسور المعرفة ، د. عبد القادر حمراني. جوان. العدد:10، جامعة حسيبة بن بو علي- الجزائر، 2017م.

8-النحو العربي بين التقليد والمناهج اللسانية الحديثة، الأثر مجلة الآداب واللغات. د. بلقاسم دفه. جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر العدد: 5، مارس2006م.